المصطلح الدلالي وتطوره بين علماء العرب والغرب

آمنة محمد حسين

aaao65691@gmil.com

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

الملخص

ذكر مصطلح الدلالة عند علماء العربية، ولهم الفضل في شيوعه قبل علماء الغرب؛ مما أزال الغموض واللبس عن المفردة العربية، وتأويلها بما يناسب المعنى من اللفظ، غير أنه لم يكن بهذا الشكل الذي عُرف فقد أعطى علماء الغرب لهذا المصطلح أهمية من عبر جعله نظرية وعلم مستقل، ولقد تطورت تسميات هذا المصطلح عند بعضهم فكان حافزا للقيام بدراسات لغوية جديدة، ولا سيمّا هي امتداد للنظريات اللسانية، وعلم الدلالة محصلة الخطاب اللغوي ذي النسيج المتشعب من العناصر والصور، والصيغ الكلامية المختلفة وهذا المجال له الميّزة الأساسية على مستوى التخاطب والتواصل وحتى على المستوى الجمالي والفني في المنطلقات الفكرية التي عنّى بدراستها الباحثين فكان لهذا أثرٌ على تجديد المتطلبات اللغوية والعلمية للإنسان التي تُمكن من الترابط بين الحاضر والماضي .

الكلمات المفتاحية: علامة، لفظ، دال، مدلول، لغة.

The Semantic Term And Its Development Between Arab And Western Scholars

Researcher / Amna Mohamed Hussein

Faculty of Education Ibn Rushd for Humanities

Abstract

Mentioned the term semantics among arabic scholars, and they have the credit for its prevalence before western scholars, which removed ambiguity and confusion from the arabic vocabulary, and interpreted it in a way that suits the meaning of the word, but it was not in this form that was known, western scholars gave this term importance by making it an independent theory and science, and the labels of this term have evolved when some of them were an incentive to carry out new linguistic studies, especially as an extension of linguistic theories,

and semantics is the result of linguistic discourse with a forked fabric of the elements, images, and different verbal formulas and this area has the main advantage at the level of communication and communication and even at the aesthetic and artistic level in the intellectual premises that meant to study researchers had an impact on the renewal of linguistic and scientific requirements for man that enables the interconnection between the present and the past.

Keywords: sign, pronunciation, sign, signifier, language.

مفهوم علم الدلالة عند علماء العرب

كان للعرب الفضل الأكبر في التركيز على مفهوم علم الدلالة ووضعوا اللبنة الأولى لحجر أساس مفهوم المصطلح الدلالي، فقد أشار اللُّغوي الفارابي(٣٣٩هـ) بقوله:" الألفاظ ليست تحاكي شيئًا من المعاني أصلًا ولا عرضًا من أعراضه"(١).

وفي هذا الصَدّد ذكر ابن جني(٣٩٢هـ) قوله:" كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدًا فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضعوا لكل واحد منها سمة، ولفظًا إذا ذُكر عرف به مُسمّاه؛ ليمتاز من غيره وليغنى بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين فيكون ذلك أقرب وأخف واسهل من تكلُّف إحضاره لبلوغ الغرض في إبانة حاله"(٢).

وكذلك زعم ابن رشد(٥٩٥هـ): إن الألفاظ التي يُنطق بها دالة اولًا على المعاني التي في النفس، والحروف التي تُكتب دالة أولًا على هذه الألفاظ كما أن الحروف المكتوبة أعني الخط، ليس هو واحد بعينه لجميع الأمم كذلك الألفاظ التي يعبّر بها عن المعاني ليست هي واحدة عند جميع الأمم، ولذلك كانت دلالة هاتين بتواطؤ لا بالطبع كما أن الموجودات التي في النفس أمثلة دالة عليها وهي واحدة وموجودة بالطبع للجميع(٣).

كما ذكر السيوطي(٩١١هـ):" اللفظ يتغيَّر بحسب تغيّر الصورة في الذهن فإن من رأى شجاعًا من بعيدٍ وظنهُ حجرًا أطلق عليه لفظ الحجر، فإذا دنا منهُ وظنهُ شجرًا أطلق عليه لفظ الشجر، فإذا دنا وظنه فرسًا أطلق عليه لفظ الفرس، فبهذا بان أن أطلاق اللفظ على مجموعة من المعاني الذهنية دون الخارجية، فدلّ على أن الوضع للمعنى الذهني لا الخارجي"(٤)، من ذلك فإن اللفظ لا علاقة له بالمعاني في العالم المحيط .

وممن أورد تعريفٌ مصطلحيًا لعلم الدلالة أحمد مختار عمر بقوله:" العلمُ الدي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادر على حمل المعنى"(٥).

ويشارك ميشال زكريا هذا المصطلح بقوله:" أمّا علم الدلالات فهو مستوى من مستويات الوصف اللّغوي ويتناول كل ما يتعلق بالدلالة او المعنيين، فيبحث مثلًا في تطور الكلمة ويقارن بين الحقول الدلالية"[٦].

ومن جهته وصف اللغوي سالم شاكر علم الدلالة بقوله: ونزع علم الدلالة في العصر الحديث إلى تمثل المنهج الوصفي في بعض مراحل الدراسة خاصة فيما يتعلق برصد تطور الدلالة وتغيرها وبناء الحقول الدلالية[٧].

وهناك تعريفات أخرى في علم الدلالة منها: العلم الذي يدرس المعنى أو الدلالات في اللغات الإنسانية.

وكذلك هو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول مدلولات المفردات في اللغات البشرية تزامنيًا او تعاقبيًا.

والتعريف الأخر: إنّه العلم الذي يشتغل على الشروط الواجبة أو الكافية، في الاشياء أو الماهيات حتى يكون ذات معنى او دلالة في المواضعة او الاصطلاح[٨].

_ مفهوم المصطلح الدلالي عند علماء الغرب

ذكر مفهوم هذا المصطلح عند علماء الغرب بصيغ متعددة وأشكال مختلفة وجعلوا له تعريفات مكنت من فهمه وإدراكه لدى كل باحث، ومنها "علم الدلالة(Semantics) كلمة اصطلاحية اشتقت من أصل يوناني مصدره sema، أي الإشارة او العلامة ، وقد نقلت كتب اللغة هذا المصطلح إلى الإنجليزية وحظي بأجماع جعله متداولًا(semantics)"[٩]، إذا تأملنا ذلك فإننا نلاحظ أن العلاقة تتمحور حول العملية الدلالية في إطارها اللغوي اللساني، وهذا يفضي بنا إلى الحديث عن العلامة اللسانية والدلالة المقترنة بها.

وباعتباره العلم الذي يدرس المعنى، فإن بريال بوصفه رائد الدراسات الدلالية الحديثة يرى أن علم الدلالة يدرس القوانين التي تشرف على تغيير المعاني، والجانب التطوري للألفاظ اللّغوية ودلالتها [١٠].

وقد ظهر كتاب ميشال بريال سنة١٨٩٧م ضابطًا مفهوم هذا العلم في كتابه الموسوم

(دراسات في علم المعنى) غير أن أولمن ستيفن يقول: إن ذيوع هذا العلم وانتشاره لم يتحقق ألا سنة ١٩٢٣م، ولعل الطرح الجديد الذي استثمره ميشال فيكمن في دعوته لجعل المعنى الدلالي فرعا مستقلًا عن الدراسات اللغوية، فلم يعدّ الأهتمام مقصورا على المعنى المعجمي بل تجاوزه ليشمل الجوانب التركيبية والقواعدية، حتى أضحى علما مستقلا له نظرياته ومجالاته وموضوعاته، إلا أن لُبّ هذا التفاهم أنما مرجعه إلى الجرعة الدلالية التي يختزنها كل رمز أو علامة، وقد أرسى بريال لهذا العلم مرتكزًا على الجهود والأبحاث اللّغوية للقدامى من الهند

واليونان، والرومان وجهود من سبقوه من علماء اللغة واللسان، حيث قول بريال لنفسه: إن الدراسة التي ندعوا إليها القارئ هي من نوع حديث للغاية لم تسم بعد(١١).

ودراسة ميشال بريال لعلم المعنى تعالج الكثير من القضايا أهمها:

١ـ دراسة الكلمات المركبة

٢ـ التداولية كفرع من الدلالة، ومعرفة العلاقة المعنوية بين الكلمات(الاشتراك اللفظي، الترادف، التشاكل الدلالي، التضمن)

٣ـ استخراج القوانين المتحكمة في تغيير المعاني، ومن ذلك اكتسب البحث في الدلالة سمة العلمية(١٢).

وفي عام(١٩٢٣م) ظهر كتاب أخر تحت عنوان (معنى المعنى)، الذي ألفه الإنجليزيان ريتشارد وأوجدن؛ وجاء نتيجة التأثر الذي أحدثه ميشال بريال، وأشار بالمر إلى ظهور مصطلح علم الدلالة أول مرة عام(١٩٤٨م)، في بحث صادر عن رابطة اللغويين التاريخيين الأمريكيين تحت عنوان المعاني العكسية(١٣)، وقد ظهر هذا المصطلح فيما بعد عند اللغوي(دي سوسير) وهو الأب الروحي للدراسات اللسانية الحديثة بمسمى(العلامة اللغوية) وأشار إلى هذا المصطلح من خلال طرحه لكتاب بعنوان(دروس في الألسنية العامة) وقد إسهب في شرحه للكلمة وأطلق عليها مصطلح(العلامة اللسانية) التي توحّد بين المفهوم والصورة السمعية للفظ ما، من خلال الأصوات التي ينتجها العقل للمادة، ويجدر القول بأن الأصوات السمعية هي ليست وليدة للأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية، إنّما في البصمة النفسية للصوت أي الدال والمدلول(١٤).

فدي سوسير يُشبه العلاقة بين الدال والمدلول بسطح الورقة فيقول: "ويمكننا كذلك أن نُشبه اللّغة بورقة يمثّل الفكر وجهها، والصوت قفاها، فلا نستطيع أنّ نقطع الوجه بدون أن نقطع في الوقت نفسه القفا، وكذلك الأمر بالنسبة إلى اللغة فلا نستطيع عزل الصوت عن الفكر ولا عزل الفكر عن الصوت"

أعطى دي سوسير مثالا عن العلاقة التي تربط بين الكلمة والصورة السمعية وهي ما سماها (الرمز) فكلمة (طير) تأتي متتابعة زمنيًا بدءًا بصوت الطاء ثم الفتحة، فيتبعها صوت الياء الساكنة، ثم صوت الراء فتتبعها الحركة الإعرابية لذا فإن مفهوم (طير) لا تربطه علاقة داخلية متماثلة بتتابع الأحداث المكونة له؛ إذ يمكن أن يختلف المعنى المراد من تسمية اللفظ عند جماعة لغوية وأخرى، وهذه العلاقة نجد جذورها عند الفلاسفة ممن سبقوه من بينهم (جون لوك) وهذا ما أكد عليه (آرت بيرمان) بقوله: مفهوم سوسير عن العلامة اللغوية قائم على التقاليد التجريبية ؛ إذ أن أفكاره تحمل تشابهًا عائليا مع أفكار لوك، فقد كان لوك أيضا يرى أن أي صوت محدد يمكن استخدامه حتى تصبح الكلمة بشكل إعتباطي هي علامة الفكرة(١٥).

فمفهوم الدلالة عند دي سوسير فارتبط بكلمة رمز بمعنى الدال، وقد أشار إلى العلاقة بين الرمز والعلامة فكانت المحصلة بأنها مختلفة المعنى كما في قوله: إن للرمز صفة ليست بشكل عام إعتباطية أبدًا وهذا الرمز ليس بفارغ أيضا؛ إذ هناك بعضًا من ملامح الرابط الطبيعي بين الدال والمدلول ولا يمكن تبديل الميزان(١٦)

وهذا ما أشار إليه الباحث(إيميل بنفينستي) فيقول: ليس الرباط إعتباطيا بين الدال والمدلول وإنما هو ضروري فمفهوم(ثور) هو إجباري مماثل للمجموعة الصوتية (ث، و، ر) حتى أن مفهوم ثور يمكن عده كروح للصورة السمعية ـ ث، و، ر (١٧)

_ ظواهر التطور الدلالي

هناك عدد من النقاط التي جعلت علم الدلالة في تطور مستمر إضافة إلى أن هذا العلم وليد التجارب العلمية والخبرات الدراسية لعدد من العلماء والباحثين بشكلٍ تتابعي كما أشار اليه، كما قيل: " ترتبط الألفاظ بدلالتها ضمن علاقة متبادلة فيحدث التطور الدلالي كلما حدث تغيير في العلاقة، ولا يكون التطور في مفهوم علم الدلالة في اتجاهٍ متصاعدٍ دائمًا، إنما يحدث وأن يضيق المعنى أو يخصص كما يتسع أو يعمم فيكون الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام وقد يحدث العكس" (١٨)، ما نستشفه من هذا الطرح أن التطور في الدلالة إنما هو تطور في العلاقة التي تربط اللفظ بدلالته نتيجة لعوامل ويقسم إبراهيم أنيس هذه العلاقة إلى:

_ "صلة طبيعية ذاتية:

أو ما يمكن تسميته بالعلة الأولى والتي على أساسها ارتبطت هذه الدلالة بهذا اللفظ وهي كما ذكرت إعتباطية.

_ صلة مكتسبة:

لم تنشأ مع الألفاظ إنما اكتسبتها اكتسابا مع مرور الإيام والتداول والاستعمال"(١٩) .

كما أن في هذا التطور معنى أن اللغة تتغير في الدلالة على وجه الخصوص، ويقول الدكتور محمود السعران في هذا الشأن " يحدث التطور الدلالي تدريجيا في أغلب الأحوال لكنه قد ينتهي أخر الأمر بتغير كبير في المعنى، وأن تغيرات المعنى غالبا ما تكون صدى لتغير الميول الاجتماعية أوضح في حالة التغير الدلالي" (٢٠).

وهناك نظريات متعددة توضح أسباب تغير المعنى منها ما يراه اللغوي(أنطوان مييه) من أن هناك ثلاثة مجموعات رئيسية من الأسباب التي تكمن في تغيرات المعنى وهي أسباب لغوية، وأسباب تاريخية، وأخرى اجتماعية(٢١)، إما عن العامل الاجتماعي حيث يكون التغير الدلالي ناتجا عن التطور الاجتماعي لمستعملي اللغة، فيؤدي إلى تطور بعض الدلالات مسايرة هذا التطور أو اندثار البعض الأخر، لأنها لم تعد ذات جدوى في خضم التطور الاقتصادي، والاجتماعي، والفكري للإنسان، حيث يتم الانتقال من الدلالة الحسية إلى الدلالة التجريدية؛

نتيجة لرقي العقل الإنساني؛ وقد تظل مستعملة جنبا إلى جنب مع الدلالة التجريدية ، وهذا ما يسميه إبراهيم أنيس بعامل الاستعمال، وأما العامل اللغوي فيعزوه العلماء إلى الحاجة الماسة إلى ابتداع ألفاظ ومصطلحات جديدة أو إلى وضع دلالة جديدة للتعبير عن مفهوم معيّن، فقد يحدث في صلب اللغة فجوات معجمية لا تجد معها اللفظ الذي يعبّر عن الدلالة الجديدة، وقد يتجه المجتمع اللغوي نحو المجاز فيتم ابتداع دلالة جديدة أو يحصل نقل لدلالة من حقل دلالي لأخر[٢٢].

قائمة المصادر والمراجع

(١) أبو نصر محمد بن محمد الفارابي(٣٣٩هـ - ٩٥٠م)، شرح الفارابي كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق: محمد سليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٨م.

(٢) ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي(٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ج٤.

(٣) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد(٥٢٠هـ - ١١٢٦م)، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تحقيق: محمد سليم، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، مطبعة دار الكتب، ١٩٧٨.

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي(٩١١هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد جاد المولى وآخرون، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ج١.

(٥) أحمد مختار عبد الحميد عمر(١٤٢٤هـ)، علم الدلالة، عالم الكتب، مصر، ط٥، ١٩٩٨م.

(٦) ميشال زكريا، الألسنية، علم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط٢، ١٩٨٥م.

(٧) سالم شاكر، مدخل الى علم الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

(٨) عيسى عسو ازابيط، الوجيز في علم الدلالة، دار الامان، الرباط، ط١، ٢٠١٦م.

(٩) الداية فايز، علم الدلالة العربية بين النظرية والتطبيق، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

(١٠) محمد حسن جبل، في علم الدلالة - دراسة تطبيقية في شرح الانباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعية،١٩٩٧م.

(١١) أولمن ستيفن، دور الكلمة في اللغة، ترجمة محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٨٨.

(١٢) فريد عوض، علم الدلالة - دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٩٨م.

(١٣) بالمر، علم الدلالة، ترجمة: احمد ظاهر حافظ، دار الوفاء، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٢م.

(١٤) فردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة ، تعريب: صالح القرمادي وأخرون، الدار العربية للكتاب، بيروت، ١٩٨٥م.

(١٥) فردينان دي سوسير: علم اللغة العام، ترجمه: يونيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، العراق - بغداد، ١٩٧٥م.

([١٦]) فرديناند دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف غازي وأخرون، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٨٦م.

([١٧]) زبير دراقي، محاضرات في اللسانيات التاريخية والعامة، ديوان المؤسسات الجامعية، الجزائر، (د.ت).

([١٨]) منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

([١٩]) إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الانجلو المصرية، ط٥، ١٩٨٤م.

([٢٠]) محمود السعران، علم اللغة ـ مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧ م.

([٢١]) أبو عودة خليل عودة، التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن الكريم، دراسة دلالية مقارنة، مكتبة المنار، الاردن، ط١، ١٩٨٥م.

([٢٢]) منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.